

النص والقراءة عند بول ريكور

Text and reading at Paul Ricoeur

محمد لسود¹

¹المعهد العالي للفنون والحرف بتطاوين .جامعة قابس تونس

lassoudmohamed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/09 تاريخ القبول: 2023/05/13 تاريخ النشر: 2023/06/4

ملخص: عرف القرن العشرين تركيزا لهرمنطيقا خاصة ببول ريكور . ولقد توسع هذا اللون من الهرمنطيقا وازداد تعقيدا بتوسع تيار ريكور التأويلي ولم يكن ذلك سوى محصلة للإنتتاح متعدد الأوجه لنوافذ فلسفته على سجلات ومنظوريات مختلفة. فبعد الإنتتاح على مختلف المناهج اللسانية من أجل إكساب الفهم موضوعية كان الحوار مع البنيويين و السيميائيين واللغويين الى جانب الفرويديين في علم النفس سواء من الذين عاصروه أو سبقوه الى الوجود ،إلى جانب طيف كامل من فلاسفة التشكيك الذين تظننوا على الوعي ومكانته .وسيكون كل ذلك حاسما في توجيه تواصل ريكور معهم تواصل المتأثر ولكن كذلك تواصل من دخل معهم في سجال حول العديد من القضايا الفلسفية من بينها مسألة النص والقراءة. وهي من أهم القضايا التي توقف عندها الفيلسوف لما لها من مكانة بالغة الأهمية في الفكر التأويلي لهذا الفيلسوف وهو الذي لم يقف تفاعله إزاء هذا الأمر عند التأويليين وخاصة هيدغر مثلما لم يقف عند المورث اللاهوتي المتأخر لشلاير ماخرودلتاي وغادمير .

وتهدف هذا البحث الى بيان ما أفضي اليه مساره في النهاية من صياغته لهرمنطيقا خاصة به هي تأويلية خاصة للنصوص ستقدم لنا مفهوما للقراءة او تفسير النصوص يدعّمه تصوّر خاص لحقيقة النص ولحقيقة الخطاب.

كلمات مفتاحية: النص ، الخطاب ، الهرمنوطيقا ، التأويل ، القراءة ، الفهم ،
النفسي

Abstract: The twentieth century witnessed a particular emphasis on hermeneutics typical of Paul Ricoeur. This type of hermeneutics became more convoluted concomitantly with the spread of Ricoeur's theory of interpretation. This was only a sequel to the multifaceted openness of his philosophy to different perspectives. Following the openness to differing linguistic approaches, the argument was with the structuralists, semioticians and linguists alongside Freudians, besides a wide spectrum of skeptical philosophers who were dubious about the worth of consciousness. This would be decisive in Paul Ricoeur's affected and contested intercourse regarding several philosophical uppermost concerns, including the issue of the text and its interpretation. Paul Ricoeur's response was not limited to the hermeneutics, chiefly Heidegger and the late theological legacy of Schleier Macher, Dilthey, and Gadamer. In the final analysis, he developed his own hermeneutics of interpretation which would provide with genuine perception of the verity of the text and discourse.

Keywords: Paul Ricoeur. discourse. text ، hermeneutics ، Interpretation

المؤلف المرسل: محمد لسود

1. مقدمة:

عرف الفكر الانساني مسار طويلا من تطور النصوص والخطابات والرموز الى حد حوّل هذه الشبكة المعقدة الى كيانات مستقلة عن إرادته وغريبة عنه فكان من الضروري مواجهتها ومحاولة تطويعها ليتكون في سياق موازي مسعى الى صناعة اسلحة تقوي قدرة البشر على التحكم بنصوصهم ولم يقتصر ذلك على النصوص بل شمل الرموز والخطابات المختلفة وعرف تاريخ الفكر الديني تشكل

محمد لسود

مسارات لصناعة مناهج للتأويل والتفسير أثرت على فهمنا للنصوص الأخرى ولقد اتجهت الفلسفة منذ القرن التاسع عشر الى استثمار هذا الجهد التأويلي في علاقة بالنصوص الدينية ليرز تيارا تأويليا اهتمه البعض بأنها لاهوت مسيحي مقنّع .

ولا يمكن لمن يجادل حول تحديد اسماء الاعلام الكبار في تاريخ الأفكار والآداب التي ظهرت في القرن العشرين أن يتغاضى عن المكانة الهامة التي حاز عليها بول ريكور بمشروعه الكبير التأويلي الفلسفي القائم على مزج رؤى ونظريات متعدّدة تبدو في الظاهر متباعدة. ولم يكن هذا المزج بالأمر الهين على المغامرة الفلسفية لهذا العلم. ويبدو تجربة بول ريكور الطويلة في التّرحال المنهجي عبر المناهج المختلفة مكنته من نحت قدرة نقدية عجيبة ومهارة عالية في المزج بين الوجودية المؤمنة والعقلانية الديكارتية و الظاهراتية الهوسرلية إضافة إلى ما حصله من معاشرته للنصوص الهيدقراطية وما تتضمنه من أنطولوجيا تأسيسية عميقة. ولا يخفي ريكور تأثير الرّجة التي تحدث لمن يلتقي بنصوص أقطاب الظنّة والارتباب كنيثشة وماركس وفرويد كما أنه لا يخفي في سرديّته التي تعرض فيها لمسيرته الكبرى ما يربطه بأعلام الهرمنطيقا الكلاسيكية من وليام شلايرماخر الى وليام دلتاي وصولا الى هانز جورج جادمر. هكذا سيكون بول ريكور متشربا لكل تأويلات عصره ومعاصرا لسجلاتها ومختلف مناهجها التي أثّرت في تشكيله لهرمنطيقا خاصة أو تأويلية خاصة للنصوص وهي نوع من القراءة تستند إلى تصور خاص لحقيقة النص و لحقيقة الخطاب. فكيف يعرف بول ريكور النص وما صلته بالخطاب ؟ وما حقيقة فهمه للقراءة ؟ وهل إن تأثير ما أثمرته الهرمنطيقا التأويلية الريكورية يقف عند حدود الفلسفة أم إنه يتخطاها ليصبح نظرية تفسير وفنّا في التفسير يخترق السجلات الفنية والأدبية المعاصرة؟

1-طبيعة النص من منظور ريكور

يعرّف قاموس الألسنية الصادر عن دار لاروس النص بالقول: " أن المجموعة الواحدة من الملفوظات أي الجمل المتخذة ، حين تكون خاضعة للتحليل ، تسمى : نصًا ، فالنص عينة من السلوك الألسني وأن هذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة أو محكية " . (Dubois et autres 1999 p 482)وهو تعريف عام وشامل يغطي نصوصا مختلفة ملفوظة ومكتوبة يركّز على أمرين هما التركيبية أو التكوينية المتكونة من ذرات هي الملفوظات والقابلية في الوحدات للتحليل اللفظي والصوتي." وما دامت هذه البنية المتعينة للعمل لا يمكن استمدادها من بنية الجمل المفردة ، فإنّ للنص بذاته نوعًا من التعدّد اللفظي ، الذي هو غير تعدّد المعاني في الألفاظ المفردة ، وغير غموض الجمل المفردة ، وهذا التعدّد النصي سمة نموذجية تسم أعمال الخطاب المعقّدة ، وتنتفتح بها على تعدّد الأبنية، والعلاقة بين الكل والأجزاء ، كما في عمل في أو لدى الحيوان ، تتطلّب نوعًا معيّنًا من الحكم..." (ريكور 2006 ص 124-125)

وغير بعيد عن هذا المعنى يقول بول ريكور معرّفًا النصّ: "لنسمّ نصا كل خطاب ثبتته الكتابة ... تسجيل يضمن الكلام ديمومته بواسطة خاصية النقش الدائمة" (برادة و بورقيبة 2001 ص 105)وفي هذا القول اعتبار أساسي وهو ان النص خطاب وينمّنها بول ريكور إلى ما في النص من ازدواجية في التركيبية و إشكال ناتج عن كون النص ثنائي ومركب.فهو مجال للإفصاح وكذلك للصمت وفضاء للظواهر كما للباطن ومساحة للحضور و الغياب. وهو ما يجعل منه فضاء دلاليا متّسعا يحتاج الى قدرة عجيبة لتفكيكه وكشف ما تخفيه رموزه أي الى نوع من القراءة تكون قادرة على الغوص فيما وراء السّطور و الكلمات وبنفس القدر عن رفع الحجب عن مواطن الظّل الحافة به و الساكنة في هوامشه وعلامات الاستفهام التي يتضمنها مع عدم الإنكفاء داخل سجن مقوله

محمد لسود

وتجاوز ذلك الى ما سكت عنه النص عن قصد أو عن غير قصد. وقد يكون هذا الجانب الاخير أكثر أهمية من غيره. فما صمت عنه هذا النص وما يكون أمرا مصاحبا له و ملازما لكيانه. وهذا المكوّن هو كالظل بالنسبة إليه و لا يمكن لأيّة قراءة أن تغفله أو تستثنيه. وما صمت عنه هذا النص و أقام حوله حجبا وسلك سبل المراوغة للابتعاد عنه أو سبل النفي لا بعاده وطمسه أو على الأقل لتشويهه وتحريف صورته هو عمق لا يمكن إلا أن يكون مطلوب كل قراءة.

هكذا يبيّن بول ريكور ما هو عليه النص في ماهيته فهل ينطبق ما يقال على النص من خصائص على طبيعة الخطاب ؟

لا يمكن الحديث عن مفهوم النص عند بول ريكور بعيدا عن مفهوم الخطاب. والخطاب ن الذي بمعرفتنا بحقيقته نعرف حقيقة النص، يمكن تعريفه بالقول: " هو محادثة خاصة ذات طبيعة شكلية ، تعبير شكلي ومنسّق، خطبة دينية أو رسالة بحث ... قطعة أو وحدة من الكلام أو الكتابة " (الأحمر 2010 ص 158) وهذا يوحى بضرورة التمييز بين الخطاب و النص وبين التحليل المناسب لكلهما. ففي الخطاب نهتم ببنية اللغة المحلية والتعاليق و الإستجابات بينما ننظر الى النص من زاوية بنيته المكتوبة كما في الاشارات وفصول الكتب و اللآفتات وهذا لا يعني وجود اختلاف جذري بين طبيعتهما إذ يمكن المطابقة بينهما الى حدّ بعيد " فإن عرفناه -أي الخطاب - باعتباره كل مجموعة ملفوظات لمتلفظ موسومة بوحدة غرض شاملة قلنا إنه في إمكان الخطاب إما أن يتطابق مع النص (وهي الحالة عند التواصل الكتابي حيث تتطابق الوحدة التواصلية و الوحدة الاغراضية عموما) و إما أن يكون مكوّنا من عدّة نصوص " وهكذا لابد من أن نأخذ في الإعتبار تعدد النصوص وتنوّعها. " (دوكروا و شافار 2010 ص 501)

النص والقراءة عند بول ريكور

وإذا صحَّ القول دائماً بوجود أكثر من طريقة لتفسير النص، فلا يصحَّ القول أنَّ التأويلات متساوية؛ فالنصَّ يقدِّم ميداناً محدوداً من الأبنية الممكنة، ويتيح لنا منطق التصديق أن نتحرَّك بين حدِّي الدوغمائية والشكِّية، بل يمكن دائماً الوقوف مع أو ضد تأويل معين، والمواجهة بين التأويلات، والفصل بينهما، والبحث عن اتفاق، حتى لو كان هذا الاتفاق بعيداً عن متناول أيدينا¹ فلا يمكن مماهاة الخطاب بالنص إذ هما يمتلكان طبعتين مختلفتين وهذا له تأثير على معنى تأويل النص ذلك أن ما يحمله النص في باطنه يحاول الخطاب بما هو ملفوظ تحقيقه كغرض له. فيصبح غرض الخطاب مطابقاً للنص ومرادفاً له دون التطابق بينهما. وإذا كان "بعضهم يقصر إجراءه على الخطاب المكتوب- أي النص- بل على الأثر الأدبي يرى فيه آخرون أنه مرادف للخطاب " (ريكور 2006، ص 128).

وفي هذا المعنى الواسع للنص يمكن أن نضم إلى الدائرة التي تغطيها دلالته كل أنواع الخطاب بل في ذلك كل النصوص حتى النصوص الموسيقية منها وهذا المعنى قريب مما يراه بول ريكور إلى حدٍّ كبير. قد يكون بالإمكان ربط الضرورة التي تقضي بتخمين معنى نص ما بنوع من "الاستقلال الدلالي" لا يتوافق المعنى اللفظي للنص مع المعنى العقلي أو قصد النص، فهذا القصد يحققه النص ويلغيه معاً، لأنَّه لم يعد يحمل صوت شخص حاضر. النص أخرس، لا صوت له؛ هنا تحصل علاقة غير متناسبة بين النص والقارئ، يتحدث فيها الشريكان على لسان كليهما. النص أشبه بقطعة موسيقية، والقارئ أشبه بعازف الأوركسترا الذي يطلع تعليمات التنغيم. وبالتالي، فليس الفهم مجرد تكرار للواقعة الكلامية في واقعة شبيهة؛ بل توليد واقعة جديدة تبدأ من النص". (ريكور 2006 ص 122)

محمد لسود

هناك اصرار كبير على عدم الخلط بين النص والخطاب وهذا تبيان لخصوصية النص غير أنه لابد من التنبيه أن ريكور قد أعطى كلاً من النص والخطاب وكذلك العلاقة بينهما معنى خصوصياً وهذا ما يبرزه في قوله: "فهو يقسم الخطاب إلى وحدات : الكلمة و الجملة ثم النص . وهنا يتساءل ريكور نفسه ما هو النص ؟ فيجيب في نفس الوقت عن أن كلمة نص تطلق على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة " . (ريكور 1988 ، ص 37)

يزيح هذا النص الغموض عن حدود الدلالة التي يغطيها مفهوم النص عند ريكور فهو لا يشمل الخطابات غير المكتوبة إذ الكلام المنطوق مثلاً ليس نصاً وإنما هو محاورة وهذا يعني أن ريكور يفصل بين الكلام و الكتابة فلا واضحاً. فالكتابة هي التي تحول الكلام إلى نصّ و تحفظه دون أن تتماهى معه. ويمكن أن نميّز تحت سقف هذه الدلالة التي منحت للنص بين أجناس مختلفة من النصوص كالنص المترابط أو المتعاقب الخاص بالمجالات الرقمية وهو نص عالي التعقيد والنصوص المفتوحة و النصوص المغلقة التي تحدث عنها أمبرتو إيكو والنصوص المكتوبة و النصوص المقروءة حسب التصنيف المتوارث عن رولون بارت .

فالنص هو إذن حسب بول ريكور خطاب وقد يكون خطاباً مكتوباً ضمن جنس من أجناس النصوص التي يفتحنا تنوعها و اختلافها على فضاء رحب من التأويلات التي يجب البحث عن ما يتناسب منها مع كل جنس من أجناس النص . وإذا كان التأويل قراءة للنص فإن مشروع الهرمينوطيقا عند بول ريكور هو إذن البحث عن علاقة القراءة بالنص خاصة لا عن علاقة القراءة بالخطاب خاصة وأن النص عرضة لقراءات عدّة منها ما هو مندرج في سياقات لا صلة لها بالسياق الذي كتب ضمنه مؤلف ما نصه . وهذه الصلة بين النص و الكتابة هي التي تجعل من القراءة مشكلاً . وهو أمر أكد ريكور على أهميته وعلى ارتباط

النص والقراءة عند بول ريكور

القراءة من حيث المنشأ بظهور الكتابة " .وبالفعل فإن العلاقة بين فعلي كتب وقرأ ليست حالة خاصة منبثقة عن العلاقة بين فعلي تكلم وأجاب . وهي ليست علاقة تخاطب (محادثة) ولا تتوقّر فيها وضعية الحوار الأساسية. فلا يوجد حوار بين القارئ و الكاتب من خلال عمله الفني وليست القراءة بذلك فعلا حواريا لأن الحوار هو تبادل الأسئلة والأجوبة وسنا نجد ههنا تبادلا من هذا النوع بين الكاتب و القارئ .فالكاتب لا يجيب القارئ ففعل الكتابة وفعل القراءة هما شقان يفصل بينهما العمل الفني إذ القارئ يكون غائبا لحظة الكتابة والكاتب يكون غائبا لحظة القراءة " (Ricoeur 1986 P 139) غيابا متبادلا وكلّيا وهذه المسافة بين الغياب والحضور هي ما يجعل من القراءة مشكلا وما تسعى إليه هرمنوطيا ريكور هو البحث عن صيغة للحوار مع تؤسس القراءة وهي صيغة تستوجب معرفة دقيقة بخصوصية هذا الفعل. فما هي خصوصية القراءة التي يدعو إليها بول ريكور ؟

2-القراءة و النص عند ريكور :

يرتبط مولد القراءة حسب ريكور بالظهور المتأخر تاريخيا للكتابة وهو الذي نتجت عنه علاقة جديدة بين العبارة والخطاب بعد أن قامت الكتابة بإعطاء ديمومة للكلام أي بعد أن قامت اللغة بتثبيت خطاب ما و تحويله الى نص . ولذلك فإن ريكور يتناول مسألة القراءة ضمن مثلث يجمع بين ثلاثة أضلاع هي الكتابة والنص والخطاب .

ولقد تحقّق حسب ريكور مع ظهور الكتابة وضع خاص يقوم على العلاقة بين العبارة والخطاب إذ " أن الكتابة أصبحت تسجّل مباشرة ضمن علامات خطبة ما يريد الخطاب قوله بمعنى أن ليس هناك قصدية فخطاب شفهي فكتابة فنص ، و إنما قصدية فكتابة فنص .ومن هذه الوضعية تولّدت وظيفة القراءة وكذلك وظيفة القارئ التي تختلف جذريا عن وظيفة التخاطب حيث

محمد لسود

الحضور العيني للمخاطب و المخاطب " (Ricoeur 1986 P 139). وأدت الكتابة إذن الى حلول النص محل الخطاب الشفوي . وأفرز ذلك علاقة جديدة بين ذاتية الكاتب و ذاتية القارئ وعلاقة بين النص و ما يحيل إليه ومشكلا كبيرا يتّصل بكيفية ولوج القارئ الى هذه الإحالة وهو مشكل فرض مهمة محدّدة للقارئ ألا وهي التأويل الذي يمدّه بوظيفة الإحالة إلى النص " لأن مايعرض نفسه على الفهم في النص ليس هو من يتكلم خلف النص " (Ricoeur 1986 P168) ولكن كيف نصل الى هذا الذي يتكلّم خلف النص وما هي القراءة الكفيلة بقيادتنا الى تحقيق هذا المبتغي والمقصد ؟

عرف مفهوم القراءة تطوّرا واضحا في أعمال بول ريكور بدء بمؤلفه " رمزية الشر" الذي ظهر سنة 1913 و تناول هذه المسألة وبيّن كيف أن النصوص التي تناولته توخّت دائما الأسلوب الرمزي الاستعاري ولم تتناوله بشكل مباشر فهو وصمة وزر و ضلال وزيف و غواية و انحراف ... الخ . و أساطير الخلق و التكوين ما هي إلا تفسيرات لمنشأ هذا الشر. ولقد كانت اهتماماته بهذه المسألة دافعا الى الاهتمام باللغة والرموز وكيفية تأويلها بما في ذلك تأويل الحلم والرموز الثقافية. ولقد أدّى به ذلك الى الاستفادة من تقنيات التأويل التي قدمتها نظرية التحليل النفسي عند فرويد .

وفي سنة 1925 ظهر كتابه " عن التأويل : مقالات عن فرويد " إهتم فيه ريكور بالفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة العادية منطلقا من فكرة فلسفية تحليلية معروفة هي أن مشاكل الفلسفة والفكر هي في الأصل مشاكل لغة وهي تحتاج الى " سمنطيقا " للربط تدرس الكيفية التي تتجلى بها الرغبات في الكلمات وهو ما جعل ريكور يعطي مكانة للتحليل النفسي ولمنهجه في التأويل . ولكنه لم يتوقف في هذا الكتاب عند هذا الحدّ بل تجاوز ذلك للتساؤل عن المنهج أي عن التأويل وكيف يمكن تجاوز الصّور التي قدّمها هوسرل عن التأويل

النص والقراءة عند بول ريكور

الفنمنولوجي كتأويل مثالي وتحرير الفنمنولوجيا التأويلية من هذه المثالية نحو تأسيس هرمنوطيقا تكون نوعا من الفنمنولوجيا التي تتأسس على مبدأ القصدية أي على كون الوعي يوجد خارج نفسه موجّها نحو معنى مثلما تتأسس على كون كل سؤال حقيقي حول الوجود هو أساسا سؤال حول معنى الوجود .

ويأتي كتابا " الاستعارة الحية " 1975 و " الزمان والسرد " (1983 - 1984) ليضعان نقطة تحوّل كبيرة في تطور مفهوم القراءة و التأويل لدى ريكور . فبعد مرحلة هرمنوطيقية طويلة اتّجه ريكور مع هذين المؤلّفين الى محاولة إنجاز مشروع تجديدي في مجال السيمونطيقا . وتضمن الكتاب الأول أطروحة مفادها أن تدمير المعنى الحرفي في الإستعارة يسمح بظهور معنى جديد . وهذا ما نجده في لغة الشّعري التي تتمكّن بذلك من أن تقول أشياء عن عالم الحياة اليومية بلغتها الخاصة . أما في الكتاب الثاني فقد بيّن ريكور كيف أن السرد يخلق معنى جديدا من خلال التأليف بين عناصر متباينة في حكاية أو قصّة محبوبكة تجعل من الزمن إنسانيا . وينتهي ريكور في هذا الكتاب الى تفحص إبستمولوجيا التاريخ والأدب و في هذا الجزء الثاني تناول تصوّرات مفكري عصره لنظرية الأدب . وفي الجزء الثالث تبرز مراجعته لإشكالية الزّمان وللمحاولات الفلسفية التي ظهرت لمعالجتها ليختم كل ذلك بشرح لهرمونطيقا الزّمن التاريخي التي تؤكد أن الروايات الزمنية هي ما يمكن أن يمنحنا منفذا تأمليا لخبرة الزمن بعد أن فشلت المقاربات الفلسفية في القيام بذلك .

وانتهت هذه المسيرة الفلسفية ببول ريكور الى تشكيل تصوّره الخاص للقراءة - التأويل التي يمكن نعتها بهرمونطيقا الإرتياب التي اعتبرها ريكور علما وفنا وحدّد لها مهمة أولى هي " إزالة الأصنام " مما يجعلها نوعا من الوعي النقدي ومهمة ثانية هي " الإصغاء " المنفتح الى الرّمز والى السرد . ولا يمكن لنا إلا أن نوّكد أن هذه الهرمونطيقا تستثمر تاريخا يذهب من شلاير ماخر الى ماركس

محمد لسود

وفرويد ونيتشيه وهو ما يبيّنه ريكور في كتابه " فرويد و الفلسفة " الذي تناول فيه من سَمَاهم بفلاسفة الظّنة " وكاشفي الأَقنعة " الذين مارسوا الإرتياب بامتياز ففضّحوا وعادوا الزيف الذي يبديه الوعي في تمظهراته المختلفة .

ولقد تعلّم ريكور من هؤلاء الدّرس ليؤسس هرمنوطيقا للنصوص أو قراءة للنصوص هدفها تحقيق " براءة ثانية " . ولما كان هذا التأويل يطبّق على النص بقدر ما يطبّق على قارئه فإن القراءة التأويلية ترتاب في القطبين . وضمن " الدائرة التأويلية " سيطبّق ريكور هرمنوطيقا الإرتياب على الإستعارة وخاصة على الحكاية الرمزية كجنس أدبي مصرّاً على تفاعل القارئ في عملية التأويل . ولقد أدى ذلك بريكور إلى الحرص على بقاء التوتّر بين السيادة المطلقة للقارئ و السيادة المطلقة للنص في عملية استخلاص المعنى و هذا ما جرّه إلى رفض الفصل بين الفهم والتفسير وهو فصل هام مثل أحدج ثمار مجهوده الكبير في تحديد معنى التأويل .

ويعد موقف بول ريكور من تصوّرات التي قدمها فلاسفة التأويل واضحاً حيث يبرز في مواجهة الهرمونوطيقا غادامير الجدلية التي لا تهتم بالمنهج ، ولقد كان الاهتمام بالمنهج هورد الفعل في الجدل المعاصر على هذا النوع من الهرمونوطيقا . وإذا كان شلاير ماخر قد تعامل مع الهرمونوطيقا كعلم أو فن يقدم لنا جملة قواعد وقوانين تحميننا من سوء الفهم وإذا كان وليام دلتاي قد أسّس الهرمونوطيقا من منظور انها الخاصية المميزة للانسانيات في مواجهة المناهج الوصفية التي سادت في علوم الطبيعية فان مفكري الهرمونوطيقا المعاصرة مثل بول ريكور يسعون لاقامة نظريه " موضوعية " في التفسير لأنهم يحاولون على طريقة شلاير ماخر اقامة الهرمونوطيقاً كعلم خصوصي موضوعه تفسير النصوص اعتمادا على منهج موضوعي متماسك وقوي يتجاوز عدم الموضوعية التي تناولها غادامير بالبحث . وهكذا لم تعد الهرمونوطيقا عند ريكور والمقربون

النص والقراءة عند بول ريكور

منه قائمة على اساس فلسفي ولكنها تحولت ببساطة الى ما يمكن تسميته علم تفسير النصوص أو نظرية التفسير.

فكيف حدّد بول ريكور قراءة النصوص بما هي فن للفهم و تجاوز لسوء الفهم ؟

يقول بول ريكور في صيغة سجالية: "فما نحن سوى هؤلاء البشر الذين سيكون منطقاً رمزياً و علماً تفسيريّاً و أنثروبولوجياً و تحليلاً نفسياً. و الذين هم للمرة الأولى ربما قادرون أن يتناولوا مسألة إجمال الخطاب الإنساني بوصفها مسألة وحيدة " (ريكور 2005 ص47) والملاحظ أن هذا النص يلخص الرؤية الهرمنوطيقية الريكورية للتأويل المنشود الذي يكون تأليفاً بين تأويل البنيوية للرمز و لتفسير النصوص الفنية و الأساطير و اللاوعي في نظريته التحليل النفسي و كشف المعاني المخبوءة اعتماداً على التقنيات اللسانية .

وبخصوص الجدل حول التفسير والفهم ، يقدّم ريكور تحليلاً للكتابة ليكون نظيراً لتحليل النص بوصفه عملاً من أعمال الخطاب ، يقول : "ما دام فعل القراءة يشكل نظيراً لفعل الكتابة ، فإنّ الجدل بين الواقعة والمعنى الذي يشكّل جوهر بنية الخطاب ، يولّد جدلاً متلازماً له في القراءة بين الفهم والاستيعاب. إنّ الفهم يمثل للقراءة ما تمثله واقعة الخطاب بالنسبة لنطق الخطاب ، وإنّ التفسير للقراءة يمثل ما يمثله الاستقلال النصّي واللفظي للمعنى الموضوعي للخطاب؛ لذلك تتطابق البنية الجدلية للقراءة مع البنية الجدلية للخطاب (ريكور 2006، ص118) ويؤكد ريكور أنّه مثلما يظلّ جدل الواقعة والمعنى ضمنياً يصعب التعرف عليه في الخطاب الشفوي ، فمن المستحيل تماماً تحديد جدل التفسير والفهم في الموقف الحوارى ، أي المحادثة.

إنّ هذا يجعل من التأويل " عمل الفكر الذي يتكوّن من فك المعنى المختبئ في المعنى الظاهر و يقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي.

محمد لسود

وهكذا يصبح الرمز و التأويل منظورين متعالقين حسب (ريكور 2005 ص 44)
ريكور فلا يوجد الواحد إلا لوجود الآخر.

ويعتبر مقال ريكور عن الرمز المنشور في كتابه "فلسفة الإرادة: التناهي والذنب"، مفيدا في سياق ما سبق ذكره فهو علامة بارزة في التأويل الفلسفي بشكل عام. يعتبر ريكور أن الرمز يغذي الفكر ، لأنه لا يمكن اكتسابه إلا بطريقة تأويلية من خلال المرور بثلاث محطات كبرى هي : التحليل الظاهراتي والهرمنوطيقا والتأمل. وهكذا تمثل المرحلة الظاهراتية الفهم الكلي والمتماسك للرمز، لأنها تقربنا جدًا منه فنحن نعيش هناك ضمنه بالأحرى ، لكن الرمز يحتاج إلى تناول آخر ، أكثر أهمية من المقاربة الظاهراتية الممثلة في التأويل الهرمنوطيقي.

و يقترح ريكور هنا الدورة التأويلية الهرمنوطيقية التالية : "عليك أن تفهم لكي تعتقد ، لكن عليك أيضًا أن تعتقد لكي تفهم. وهذه الحلقة ليست حلقة مفرغة بقدر ما هي تعبر عن حيوية كبيرة. والإيمان بهذه الدائرة التأويلية الهرمنوطيقية ليس بالضرورة اعتقادًا في المعنى الديني؛ فما يجب على المرء أن يؤمن به ، أو يعتقد به ، من أجل فهمه ، هو أن المعنى موجود بالفعل في قلب اللغة. ومن الواضح أن هذه المرحلة من فهم "الرمز تجعل المرء يفكر" ذلك أن الشخص المفسر ليس هو الشخص الذي يمتلك المعنى أو يفرضه بل على العكس من ذلك ، المعنى هو ما تم إعطاؤه بالفعل بواسطة الرمز مسبقًا. وبسبب هذا الافتراض بأن المعنى موجود بالفعل في امتلاء اللغة وراثيًا ، من المستحيل حسب ريكور أن نتحدث كما يفعل البعض عن بداية جذرية في الفلسفة.

ومن جهة أخرى فإن كل رمز يمكن قراءته وإعادة قراءته ؛ أي أنه خاضع بطبيعته لقابلية التأويل ، لأنه يشير إلى معنى من الدرجة الثانية والثالثة ، إشارة تتسبب في توليد معنى جديدًا ، وهذا ما جعل ريكور يُخضع الرمز لمقاربة ثالثة قام بها وتسمى المقاربة التأملية أو فلسفية من خلال عملية التأويل الإبداعي ، والتي لا

النص والقراءة عند بول ريكور

ترى في الرمز حجاباً أو فكرة مقنعة يجب كشف النقاب عنها فيكون التأويل الهرمنوطيقي للرمز كشف عن وجود الذات وفهم وجودها. إما أن نبقي كقراء في نوع من حالة التعليق فيما يخص أي نوع من المحال به إلى الواقع، أو نحقق خيالاً الإحالات غير الظاهرية الضمنية للنص في موقف جديد ، وهو موقف القارئ؛ في الحالة الأولى نعامل النص ككيان لا واقع له ، وفي الحالة الثانية نخلق إحالة ظاهرية بفضل نوع التنفيذ الذي يتضمنه فعل القراءة ، وهاتان الإمكانيتان موقوفتان معنا على فعل القراءة والمفهوم بوصفه تفاعلهما الجدلي " (ريكور2006ص 130)

3- القراء من فهم النص الى فهم الذات فإلى إعادة بنائها:

في شهر ماي 1985 وخلال حفل تكريم للمفكر جريماس ختم بول ريكور كلمته بقوله " السيد جريماس لقد علمتني كيف أقرأ وهذا من شأنه أن يكشف 'ن احد المراجع التي تشرّب منها ريكور تصوره للقراءة. فما الذي تعلمه ريكور من جريماس ويعلمه لنا؟

إنه عندما نتحدّث عن القراءة لدى ريكور فإن الأمر يتعلّق بترابط بين الفهم والتفسير على نحو خاص ضمن مشروع هرمنوطيقي خصوصي تتنزل ضمنه مسألة قراءة النص منزلة مركزية وهي مسألة شغلت ريكور منذ مؤلفاته المبكرة كما سلف ذكره مع كتاب "رمزية الشر". ولقد انتهى ريكور بعد مسيرة طويلة الى المحصلة التالية : "أن نفسّر أكثر لكي نفهم أكثر" الذي يختزل فيه توره للأمر. ولتحقيق ذلك أنشأ ريكور القوس الهرمنوطيقي الشهير الذي يتضمن ثلاث لحظات هي:

- لحظة ما قبل الفهم وهي لحظة وجودية وذاتية أساسية تحدّد العلاقة الأساسية حسب ريكور للقارئ بالنص.

محمد لسود

- لحظة التفسير التي يتم ضمنها تشغيل و تفعيل المقاربات والمناهج المعرفية المختلفة وفي هذه اللحظة يكون التفسير في خدمة النص.

- لحظ فهم النص عبر جملة من الوسائط المختلفة. وهنا يفتح الفهم على أفق آخر يتجاوز جغرافيا النص الى تضاريس الذات فيتحول فهم النص الى فهم للذات و"لا فهم للذات إلا بتوسط الرموز والعلامات والنصوص ذلك أن فهم الذات يتوافق بشكل حميمي مع التأويل المطبق على هذه الملفوظات الوسيطة". (Ricoeur1986p29)

يقودنا هذا القوس الهرمنوطيقي الذي اقترحه ريكور الى أفق للقراءة يتجاوز النص ومطلب فهمه نحو فهم الذات عبر وساطة الرموز والنصوص. وحول ذلك يقول بول ريكور "أن أفهم نفسي هو أن أفهمها في مواجهة نص احصل منه على شرط ان اكون اخر بدل أنا القارئ. فلا احد من الذاتيتين ، ذاتية الكاتب وذاتية القارئ تكون ذات أولوية بمعنى صاحبة حضور أصيل للأنا في علاقة بنفسه ("Ricoeur1986p31")

وهذا يذهب بنا بعيدا الى كون القراءة ليست فقط سبيلا لفه النص ولا لفهم الذات بل لإعادة بناء الذات. " يسعى التأويل في مرحلته الأخيرة إلى المساواة والمعاصرة والاندماج بمعنى المشابهة ، وتحقق هذه الغاية بمقدار ما يحقق التأويل معنى لنص للقارئ الحاضر"(ريكور2006 ص 144)

إن القراءة عند ريكور تتجاوز للنص نحو فهم اخر "فهم الذات في مواجهة النص " وهنا تصبح القراءة تأويلا. وهذه العلاقة بين الذات والنص ذات وجهين فمن جهة أولى تتغذى الذات - القارئ على النص ليغذيه بدوره بأن يغرس فيه المعنى والروح من خلال التفاعل معه فيما يمكن اعتبارها إعادة خلق للنص. ولقد أعطت الدراسات النقدية السابقة فهما للتأويل يمنح ، حتى وقت قريب ، الأولوية للمؤلف أي للنص ، مضحية بالقارئ ، لأن المؤلف يشكل العمود الفقري والركيزة

النص والقراءة عند بول ريكور

الأساسية للقراء والصوت المتخفي وراء السطح الذي يمثله النص كعملية إبداعية وحاسمة. لكن مع تطور الدراسات اللغوية وظهور أساليب النقد في القرن العشرين من جهة وتطور السياقات التأويلية والمبحث الهرمنوطيقي في الفلسفة ، أصبح من الواضح أن هذا الموقف بعيد عن الحقيقة ، وستساعد الحركة الفلسفية الممتدة من اللاهوتيين الألمان إلى الهرمنوطيكا والفنمنولوجيا إضافة إلى علم النفس واللسانيات على تحول مركز الاهتمام إلى القارئ وليس المؤلف ، وهو الذي حصل على الحرية الكاملة في تفسير النص ، ليكشف عن غطاء المعاني الممكنة أو الخفية للنص ، مما وفر الأساس لفتح الدائرة الموسعة للتفسير الإيجابي والبناء أعطى للتأويل آفاقاً جديدة كباب لتعدد القراءات." إن التأويل ليس أن نفهم النص أفضل مما أراد له صاحبه ، أو يكون الفهم الذاتي أعمق وأنفذ من فهم المؤلف لنصه ، وإنما متابعة هذا النشاط الداخلي والخارجي للنص عبر علاماته المنتظمة في عالمه ، وقدرته على تشكيل فضاء تجد فيه الذات أو القارئ أشكال تنقيبه عن المعنى ، وإنما سبره للدلالة أو العلامة ، بهذا المعنى يتيح فهم النص إعادة تفسيره وتنظيم فضائه الدلالي (الزين 2012 ، ص 72) وهذا يجهل من تأويلية بول ريكور متحررة من توجهات ومقاصد التأويل التقليدي الذي يتخطى مطلب البحث عما أراد المؤلف قوله إلى مطلب ما يريد النص بأصواته المختلفة أن يقوله وهو أصوات قد لا يعي المؤلف بعضها.

يظهر لنا ما تقدّم أن مشروع بول ريكور الهرمينوطيقي يندرج ضمن تيار الفلسفة التأويلية التي تطمح إلى دراسة وتفسير النصوص وخاصة النصوص الفلسفية مستثمرة تاريخ تفسير النصوص الطويل الذي يضرب في التفسير اليهودية القديمة والموروث التلمودي. ولقد كان القصد الاساسي لبحثه هو الخوض في مسألة المعنى وشروط بناءه داخل النص لحماية الفهم من سوء الفهم الذي يمكنه أن يتسرب من جهات مختلفة وتاريخ تفسير النصوص الدينية حافل بذلك. ولقد قاد ذلك تأويلية ريكور الى أن تكون عبارة عن تأويلية ذات طابع منهجي يبحث عن السبيل المفضي الى المسك بناصية المعنى وهذا كان مطلوب ريكور هو تأسي مبحث هو بمثابة العلم الذي يفسر النصوص اعتمادا على طرائق منهجية موضوعي صارمة تستند الى دعائم صلبة. وهذا قاده الى أن يستنجد بالعلوم المختلفة بدءا بعلم الدلالة ، واللسانيات ، وإلأبستمولوجيا والتحليل البنيوي وصولا الى طيف آخر من العلوم التي تهتم باستخدامات النصوص و الرموز المختلفة. ولقد نجح ريكور بذلك في طرح تصوّر واسع المجال حول تأويل النصوص ، فصاغ هرمينوطيقا تأويلية أرادت لذاتها ومختلفة عن غيرها وأن تكون مشروعا لفكر التأويلي يخترق حجب النص والخطاب. وقد نجازف بالقول أن هذا الطابع الخاص للقراءة – تأويل الذي استحدثه ريكور واستمر ف ذلك كل الثراء الفكري للحدثاة المتأخرة سمح له بأن يكون صوتا مسموعا خارج أسوار الفلسفة ونصوصها التي كان ينوي الوقوف عندها لتلج به ألسن الادباء والفنانين والمهتمين بالمقدّس. " وقد يكون ريكور، بالهرمنوطيقا التي صاغها ، قد ارتقى الى كونية التأويل محققا حلما راود غادامير القائل "أن عالمية التأويل هي في الواقع، عالمية البعد الفلسفي وليس مجرد القاعدة أو الدعامة النظرية لعلوم الانسان، يتعلق الأمر بتمديد آفاق التأويل كمنعطف حاسم في

النص والقراءة عند بول ريكور

التراث إنساني. عالمية التجربة التأويلية تعني أيضا تشكل التجربة الإنسانية في عالم أو فضاء التأويل، أي التأويل بوصفه الحقل أو الفضاء أو البعد الفني والتاريخي واللغوي" (غادامير 2016 ص26). فلم يعد التأويلا خاصا بتفسير نص دون غيره ولم يعد التأويل فنا خاصا بالفلاسفة وحدهم. وقد تكون الفنون والآداب وناقدها أكثر اشتغالا بهذا الفن اليوم وهو ما يبرز لنا أهمية الإرث الذي تركه لنا ريكور من خلال تجربته الطويلة في محاوراة التأويلات المختلفة .

5. قائمة المراجع:

- ريكور، بول (2005) : صراع التأويلات، ترجمة منذر عياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان .
- ريكور، بول (1988) : النص ، التأويل ، ترجمة منصف عبد الحق . مجلة العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت عدد 3 .
- ريكور، بول (1998): من النص إلى الفعل، منشورات لوسوي، باريس
- ريكور، بول(2006): نظرية التأويل – الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغاني، الناشر المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية.
- ريكور، بول(2001): من النص إلى الفعل. أبحاث التأويل. ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- ريكور، بول(1999):البلاغة والشعرية والهرمينوطيقا، ترجمة مصطفى النحال، فكر ونقد، عدد16، السنة الثانية.
- ريكور، بول(1999): الوجود والزمان والسرد، ترجمة وتقديم سعيد الغاني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- عادل مصطفى(2013): فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- أزوالد دوكروا و جان ماري شافار(2010) : معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهييري وحمادي صمود. دار سيناترا تونس
- الأحمر، فيصل (2010) : معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف ، الجزائر الطبعة الأولى
- برادة، محمد و بورقية ،حسان(2001) : عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية القاهرة

النص والقراءة عند بول ريكور

محمد هاشم عبد الله (2005): ظاهريات التأويل، قراءة في دلالات المعنى عند بول ريكور، مجلة التسامح، سلطنة عمان، السنة الثالثة، شتاء 2005.

محمد شوقي الزين (2015): تأويلات وتفكيكات، طبعة منشورات ضفاف الأولى، لبنان.

عادل مصطفى (2007): فهم الفهم، مدخل إلى الهيرومينوطيقا، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1

بنكراد، سعيد (2016): السيميائيات وتأويل النص الديني، موقع مؤمنون بلا حدود، بتاريخ 16 مارس

غدامير، هانس غيورغ (2016): فلسفة التأويل، ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف الطبعة الثانية.

Ricœur; Paul (1960)La symbolique du mal; Aubier montaigne .Paris

Ricœur; Paul (1970): Freud and Philosophy An Essay on Interpretation. Translated by Derise Savage (New Harm: Yale University Press)

Ricoeur, Paul sept.(2000) Entretien avec François Ewald, «Paul Ricoeur: un parcours philosophique» , dans le n° 390 du Magazine littéraire.

Ricoeur, Paul (1963) « Structure et Herméneutique » (La *Pensée sauvage* de Claude Lévi-Strauss), *Esprit*, novembre 1963 repris dans, *Lectures 2*, Seuil, 1999, p. 351-385.

Ricœur, Paul (1979) « La fonction narrative » dans *Etudes Théologiques et Religieuses* 1979/2, réédité dans *Le temps du texte*, ETR, n° Hors-série, supplément au n° 2005/4 : 57-78.

Ricœur, Paul (1980). « Herméneutique et Sémiotique », Centre Protestant d'Etudes et de Documentation (Supplément au bulletin de novembre 1980).

Ricœur, Paul (1980). « La grammaire narrative de Greimas », *Documents de recherche du Groupe de recherches sémio-linguistiques (ILF-EHESS-CNRS) n° 15* ; repris dans Ricoeur Paul (1999). *Lectures 2. La contrée des philosophes*, Paris Seuil : 389-421.

Ricœur, Paul (1986). *Du texte à l'action, Essais d'herméneutique II*, Paris, Seuil, 1986

Ricœur, Paul (1995), *Réflexion faite*, Paris, Editions Esprit

Ricœur, Paul (1999). *Lectures 2. La contrée des philosophes*, Paris Seuil Ricœur, Paul (2005) « La fonction narrative » dans *Le temps du texte*, ETR, n° Hors-série, supplément au n° 2005/4 : 57-78 ; réédition de l'article paru dans *Etudes Théologiques et Religieuses* 1979/2.

Jean du bois et autres (1999), *Dictionnaire de linguistique et des sciences de langage* , Larousse Paris.

Delorme, Jean. (1987). *Parole, figure, parabole. Recherches autour du discours parabolique*, Lyon, Presses Universitaires de Lyon.

Greimas, Algirdas-Julien et Courtés, Joseph (1979). *Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, Paris, Hachette Université.